مجلة التراث

J-ALT

2018/ Vol:8 N°01

Available online at http://www.asjp.cerist.dz

القول المختار في تفسير قوله تعالى ﴿أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ﴾

الأستاذ أحمد بن فارس السلوم قسم الدراسات الإسلامية كلية الآداب، جامعة الملك فيصل.

الملخص:

يتناول هذا البحث تفسير آية من كتاب الله، وهي قوله عز وجل في الآية الثامنة من سورة النمل في قصة مناجاة موسى عليه السلام: ﴿أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ ﴾، وإنما اخترت هذه الآية لأنها من مشكل التفسير، حيث كثر اختلاف العلماء فيها، وتعددت أقوالهم، ولذا فهي نموذج لما يجب أن يكون عليه الباحث في اختلاف المفسرين في التفسير، ويهدف هذا البحث إلى كشف الإشكال عن الآية، وبيان الراجح فيها، لما لذلك من أثر في العقيدة والتفسير، وقد جاء في عدة مباحث بينت فيها بالتحليل مفردات الآية الكريمة، ثم ختمت ذلك بمصادر البحث.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنَّ العلوم المتعلقة بالقرآن هي أشرف العلوم، وهي تنقسم إلى قسمين، قسم يتعلق به من حيث الألفاظ، وقسم يتعلق به من حيث المعنى، ومن العلوم التي تتعلق به من حيث المعنى هو علم التفسير.

وقد اعتنى العلماء بالتفسير، ورووه عن أهله، ودونوا فيه الكتب، ووضعوا له القواعد، وصنفوا قسما منه تحت عنوان: مشكل التفسير، وقد ألفوا فيه مؤلفات على حيالها، ولا شك أن مشكل التفسير من الأهمية بمكان، فهو من دقيق العلم الذي قال فيه الشافعي رحمه الله: من تعلم علمًا فليدقِّق فيه، لئلا يضيع دقيق العلم[1].

وهذا البحث من دقيق علم التفسير، وقد عنونته بـ: القول المختار في تفسير قوله تعالى ﴿**أَن بُورِكَ مَن فِى النَّارِ**﴾[النمل:8]، حيث إن هذه الآية من مشكل القرآن، وقد اختلف العلماء في تأويلها على أقوال كثيرة، فجاء هذا البحث يهدف كشف الإشكال عن هذه الاية، وبيان المعنى الصحيح لها، بما تقتضيه أصول التفسير وقواعده.

وتكمن أهمية هذا البحث في كون هذه الآية مما اختلف تفسير المتقدمين والمتأخرين لها، وكثرة فيها الأقوال، حتى إن القارئ ليتحير من كثرتها، في حين إن بعض المفسرين تجاوزها دون تفسير، فعُدَّتْ هذه الآية من فَوات التفاسير عند بعضهم.

واقتضت طبيعة البحث أنْ أجعله في مقدمة وأربعة مباحث:

المبحث الأول: المعنى الإجمالي للآية.

المبحث الثاني: معنى البركة.

المبحث الثالث: هل كانت نارا أم نورا.

المبحث الرابع: معنى من في النار.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي النقدي، فاستقرأت أقوال المفسرين، من مصادرها الأصلية، ثم عرضت هذه الأقوال على قوانين النقد المذكورة في كتب علوم القرآن وأصول التفسير.

واللهَ أسأل أن يلهمني الرشد والصواب، وأن يوفقني لما يحب ويرضى، والله ولي التوفيق..

[1] رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى 377/1.

المبحث الأول: المعنى الإجمالي للآية

ذكر القرآن الكريم قصة موسى عليه السلام في مواضع كثيرة، إلا أن قصة ابتداء الوحي إليه جاءت مجملة في سورة النازعات، ومبيّنة في سور طه والنمل والقصص.

فقال تعالى في سورة النازعات[16]: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

وقال في سورة طه [9-12] ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (9) إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

وقال في سورة النمل [7-9] ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (7) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (8) يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

وقال في سورة القصص [29-30] ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

فدل مجموع هذه الآيات أن موسى عليه السلام لما خاف من فرعون وقومه خرج إلى مدين فمكث هناك عشر سنين، وهو الأجل الذي قضاه عند الرجل الصالح في مدين، كما ثبت في الصحيح عن سعيد بن جبير، قال: سألني يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى، قلت: لا أدري، حتى أقدم على حبر العرب فأسأله، فقدمت، فسألت ابن عباس، فقال: «قضى أكثرهما، وأطيبهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال فعل»[1] ، فلما انقضى الأجل سار بأهله وما معه من مال يريد قومه، فقد رُويَ عن أنس بن مالك أنه قال: لما دعا نبيّ الله موسى صاحبه إلى الأجل الذي كان بينهما، قال له صاحبه: كلّ شاة ولدت على غير لونها فلك ولد، فعمد، فرفع خيالا على الماء، فلما رأت الخيال، فزعت، فجالت جولة فولدن كلهنّ بُلقًا، إلا شاة واحدة، فذهب بأولادهنّ ذلك العام[2].

قال ابن كثير: "قالوا: كان موسى قد اشتاق إلى بلاده وأهله، فعزم على زيارتهم في خفية من فرعون وقومه، فتحمل بأهله وما كان معه من الغنم التي وهبها له صهره، فسلك بهم في ليلة مطيرة مظلمة باردة، فنزل منزلا فجعل كلما أورى زنده لا يضيء شيئا، فتعجب من ذلك، فبينما هو كذلك إذ آنس من جانب الطور نارًا أي: رأى نارًا تضيء له على بعد، فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا أي: حتى أذهب إليها، لعلي آتيكم منها بخبر، وذلك لأنه قد أضل الطريق، أو جذوة من النار أي: قطعة منها لعلكم تتدفؤون بها من البرد[3].

[1] صحيح البخاري 2684، وفي لفظ عند الطبري في التفسير 568/19: قضى موسى آخر الأجلين.

[2] جامع البيان للطبري 570/19.

[3] تفسير القرآن العظيم لابن كثير 234/6.

وكان ذلك لما بلغ موسى عليه السلام الوادي المقدس طوى، فهناك أحس بالنار في شق الوادي عند الطور عن يمينه[1]، فلما أتاها موسى عليه السلام ناداه الله من عند الشجرة التي كانت هناك.

"قال الله تعالى: ﴿فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن﴾ أي: من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب، كما قال تعالى ﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾ ، فهذا مما يرشد إلى أن موسى قصد النار إلى جهة القبلة، والجبل الغربي عن يمينه، والنار وجدها تضطرم في شجرة خضراء[2] في لحف الجبل مما يلي الوادي، فوقف باهتا في أمرها، فناداه ربه: ﴿من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة﴾"[3].

وقد ذكرت الآيات الكريمات أوائل هذه المناجاة بين موسى وربه، ففي سورة طه قال له: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

وقال في سورة النمل ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (8) يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

وقال في سورة القصص قال: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

فإن قيل أي ذلك كان؟ فالجواب: أنَّ الآيات بمجموعها ذكرت ما قاله الله عز وجل له وناداه به، وزادت بعضها على بعض فجاءت بمجموعها مجموع ما ناداه به، وهذه إحدى فوائد تعدد القصص في القرآن، ثم أفاضت السور الثلاث بباقي المناجاة العظيمة التي نبئ فيها موسى عليه السلام وأرسل إلى فرعون ومن معه.

وقد اختصت سورة النمل عند ذكر هذه المناجاة الكريمة: بذكر البركة لمن في النار ولمن حولها، فقال الله عز وجل ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (8) يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

وقد وقع في هذه الآية اختلاف كثير بين أهل العلم، ولم يقع اختلاف في تفسير آيات مناجاة موسى وربه كما وقع في هذه الآية، وذلك في موضعين: الأول: معرفة من في النار، والثاني من حولها.

وهذا ما سنبحثه في المباحث التالية.

---

[1] كما قال مجاهد، ورواه عنه ابن جرير 572/19.

[2] وقد اختلف العلماء في تحديد ماهية هذه الشجرة، والقرآن الكريم والسنة النبوية طويا ذكر نوعها، إذ لم يكن في تحديد النوع فائدة، ولكن بعض العلماء اجتهد في تحديد نوعها معتمدا على بعض الروايات الإسرائيلية، فقيل شجرة عوسج وقيل عليق وقيل سمرة، انظر اختلافهم في ذلك في تفسير الطبري 573/19، 248/7، والثعلبي وابن كثير 234/6.

ولعل أصح ما ذكر في ذلك ما رواه الطبري عن ابن مسعود قال: رأيت الشجرة التي نودي منها موسى عليه السلام، شجرة سَمُراء خضراء ترفّ أهـ قال ابن كثير: إسناده مقارب أهـ(234/6).

[3] تفسير ابن كثير 234/6.

المبحث الثاني: معنى البركة.

أوَّل المناجاة وردت في سورة النمل بقوله: بورك.. وهو فعلٌ مبني لما لم يسمَّ فاعله.

وأصل البرْك صدْر البعير، يقال: برك البعير: ألقى بركه، واعتبر منه معنى اللزوم فقيل: ابتركوا في الحرب، أي: ثبتوا ولازموا موضع الحرب[1]. قال الإمام ابن فارس: "الباء والراء والكاف أصل واحد، وهو ثبات الشيء، ثم يتفرع فروعا يقارب بعضها بعضا.. قال الخليل: البركة من الزيادة والنماء، والتبريك: أن تدعو بالبركة"[2]. والمبارك: ما فيه ذلك الخير[3]، والعرب تقول: باركك الله وبارك فيك وبارك عليك[4].

وأما البركة في الاصطلاح: فهي ثبوت الخير الإلهي في الشيء[5].

وهذه البركة لا تثبت إلاَّ بدليل شرعي.

ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يُحس، وعلى وجه لا يُحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة: هو مبارك، وفيه بركة، وإلى هذه الزيادة أشير بما روي أنه: «لا ينقص مال من صدقة»[6] لا إلى النقصان المحسوس حسب ما قال بعض الخاسرين، حيث قيل له ذلك، فقال: بيني وبينك الميزان![7].

ولأنَّ البركة من الله عز وجل، قيل: تبارك الله ، وفي معناه أقوال:

الأول: هو تفاعل من البركة، كأن معناه جاء بكل بركة[8]، وقال الحسن: مجيء البركة مِن قبله[9]. قال الثعلبي: معنى هذه الصفة ثبت ودام بما لم يزل ولا زال، وأصل البركة الثبوت يقال : برك الطير على الماء وبرك البعير ، ويقال : تبارك الله، ولا يقال لله مُتبارك أو مُبارك، لأنّه ينتهى في صفاته وأسمائه إلى حيث ورد التوقيف أهـ[10].

الثاني: تعظَّم الله، وهو قول الضحاك.

الثالث: خالق البركة، قاله إبراهيم[11]. وهو وإن كان صحيح المعنى لكنه غريب في التفسير.

قال الماوردي –مفرعا معنى تبارك على معنى البركة– : وفي البركة ثلاثة أقاويل :

---

[1] مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص119.

[2] معجم مقاييس اللغة 230/1.

[3] مفردات الفاظ القران 119.

[4] معاني القرآن للفراء 286/2.

[5] مفردات ألفاظ القرآن 119.

[6] أخرجه مسلم في صحيحه، ولفظه: «ما نقصت صدقة من مال» في باب البر والصلة رقم (2588)

[7] مفردات ألفاظ القرآن 120

[8] الكشف والبيان 122/7، وهو من قول الثعلبي وجعله البغوي من قول ابن عباس، وليس كذلك.

[9] معالم التنزيل 69/6. وقد عد الماوردي في النكت والعيون 130/4 قول الحسن وما قبله قولين مختلفين، وهما في الحقيقة قول واحد.

[10] الكشف والبيان 123/7

[11] النكت والعيون 130/4، ولم يبين من إبراهيم هذا؟

أحدها : العلو، الثاني : الزيادة ، الثالث : العظمة، فيكون تأويله على الوجه الأول : تعالى[1]، وعلى الوجه الثاني تزايد ، وعلى الوجه الثالث : تعاظم أهـ.

واستصحاب المعنى اللغوي يرجح الأول، وهو أن تبارك تفاعل من البركة، والمعنى: مجيء البركة منه سبحانه وتعالى، إلا أن المعاني المذكورة صحيحة كذلك.

وعند النظر في المواضع التي ذُكرت فيها هذه اللفظة الشريفة فإننا نجد أنها ذُكرت في تسعة مواضع، ابتدأ بها الباري آية أو ختم بها آية، في سياق اختصاصه سبحانه وتعالى بالخيرات، وفي كل آية تنبيه على خيرات ليست في غيرها..

نبه على هذا المعنى الراغب الأصفهاني فقال: وقوله تعالى: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجا﴾ [الفرقان/61] فتنبيه على ما يفيضه علينا من نعمه بواسطة هذه البروج والنيرات المذكورة في هذه الآية، وكل موضع ذكر فيه لفظ "تبارك" فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر "تبارك". وقوله تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون/14]، ﴿تبارك الذي نزل الفرقان﴾ [الفرقان/1]، ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات﴾[الفرقان/10]، ﴿فتبارك الله رب العالمين﴾ [غافر/64]، ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ [الملك/1].

كل ذلك تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر «تبارك» اهـ[2].

وقد وصف القرآن الكريم تسعة أشياء بأنها مُباركة، وهي:

1-الكعبة التي هي قبلة للعالمين، قال تعالى ﴿أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا﴾ [آل عمران/96].

2-القرآن الكريم فقال ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ [الأنعام/ 92]، ﴿هذا ذكر مبارك أنزلناه﴾ [الأنبياء/50]، وقال: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك﴾ [الأنعام/155]، ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾[الأنبياء/ 50]، وصفه بذلك "تنبيها على ما يفيض عليه من الخيرات"[3].

3-عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وجعلني مباركا﴾ [مريم/31] "أي: موضع الخيرات الإلهية"[4].

4-المكان المبارك، وهو "المنْزل الَّذى قُصِد، لا على التعيين"[5] قال تعالى ﴿وقل رب أنزلني منزلا مباركا﴾[المؤمنون/] أي حيث يوجد الخير الإلهي[6].

5-المكان الذي ناجى الله فيه موسى الكليم : ﴿في البقعة المباركة﴾[النمل/8].

6-شجرة الزيتون ، ﴿يوقد من شجرة مباركة﴾[النور/35].

---

[1] وهو اختيار صاحب الجلالين، انظر حاشية الصاوي 150/3، وأبي السعود 200/6.

[2] مفردات ألفاظ القرآن ص120

[3] مفردات ألفاظ القرآن 119.

[4] مفردات ألفاظ القرآن 119

[5] بصائر ذوي التمييز .

[6] مفردات الفاظ القرآن 119.

7- التحية، وهو السّلام شِعَار المسلمين ، ﴿فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة﴾[النور/61].

8- فى ليلة القَدْر التي هي موسم الرّحمة والغفران للعاصين والمذنبين: قال تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ [الدخان/3].

9- المطر الَّذى به حياة المتنفِّسين، قال تعالى: ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا﴾ [ق/9] .

قال الراغب: فبركة ماء السماء هي ما نبه عليه بقوله: ﴿لم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه﴾ [الزمر/21]، وبقوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض﴾ [المؤمنون/18][1].

فهذه الأشياء وُصفت في القرآن بأنها مباركة، وفي القرآن الكريم خمسة أشياء أخرى بارك الله عليها أو فيها أو حولها:

1-على إبراهيم الخليل وأولاده وآل بيته: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ [الصافات/113]، ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[هود/73].

2-على نوح وعلى أمم ممن معه: ﴿يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾الآية[هود/48].

3- في الأَرض: ﴿وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾[فصلت/10].

4- الذي في النار التي ناجى منها موسى ليلة طور سينين ومن حولها ﴿أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[النمل/8].

5-حول المسجد الأَقصى: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[الإسراء/1].

فصار مجموع ما ذكر بالبركة في القرآن الكريم أربعة عشر شيئًا.

تنبيه: لا خلاف بين العلماء أن البركة من الله، ولذا لا يصح قول: أبارك لفلان.. حيث يجري هذا على لسان العوام، ومرادهم: أهنيء فلان..، فإن أريد البركة فيقال: بارك الله لفلان.. ونحو ذلك.

[1] مفردات ألفاظ القرآن 119

المبحث الثالث: هل كانت نارا أم نورًا.

اختلف علماء التفسير في معنى النار التي بارك الله تعالى بمن فيها، ومع أن ذكر النار في الآية متأخر على ذكر مَن فيها، إلا أنني قدمتُ الحديث عن معنى النار لأن اختلافهم في من في النار مرتبط في تحديد معنى النار.

وللعلماء في هذه النار قولان:

الأول: إنَّ المراد النور، وأنها كانت نورًا لكن عبر بالنار لأنَّ موسى عليه السلام ظنها نارا[1].

وهذا قول محمد بن كعب، قال: في قوله: ﴿أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ ﴾ نور الرحمن، والنور هو الله ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

وهذا القول هو المشهور عن ابن عباس، فقد قال: لم تكن نارًا، إنما كانت نورًا يتوهج، وفي رواية عن ابن عباس: نور رب العالمين"[3].

قال الثعلبي: قالوا: كانت النار نوره عزَّ وجلّ ، وإنّما ذكره بلفظ النّار لأنّ موسى حسبه ناراً ، والعرب تضع أحدهما موضع الآخر أهـ[4].

القول الثاني: أنها كانت نارًا حقيقة، كما سمى الله عز وجل.

فعن سعيد بن جبير، أنه قال: حجاب العزّة، وحجاب المِلكَ، وحجاب السلطان، وحجاب النار، وهي تلك النار التي نودي منها. قال: وحجاب النور، وحجاب الغمام، وحجاب الماء..[5].

والراجح: في هذا أنها كانت نورا لكن ظنَّه موسى عليه السلام نارا، فعبر القرآن على ما ظن موسى عليه السلام، وبهذا جاء التفسير عن ابن عباس وعامة المفسرين، والله أعلم.

المبحث الرابع: معنى (من في النار)

هذه الجزء من الآية من المواضع التي أشكلت على كثير من المفسرين، وقد سلكوا فيها مسالك شتى كما سنذكره عنهم، واختلفوا في تفسيرها على عدة أقوال، وترك بعض المفسرين الكلام عليها، كابن كثير رحمه الله، فإنه فسر ما قبلها وما بعدها، وترك هذا الموضع دون بيان، وقال: فوقف موسى متعجبا مما رأى، فنودي ﴿أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ ﴾، قال ابن عباس: أي قدس أهـ ولم يذكر معنى من الذي في النار.

هذا، وقد اختلف المفسرون في هذه الآية إلى أقوال كثيرة، وسأذكرها، ثم أبين حقيقتها:

1-القول الأول: ﴿ مَن فِي النَّارِ ﴾ عنى جلَّ جلاله بذلك نفسه، وهو الذي كان في النار، لكن على معنى أن النار نوره. وهو يروى عن ابن عباس، وله عنه طريقان:

---

[1] زاد المسير 353/3.

[2] رواه ابن جرير في تفسيره 429/19.

[3] تفسير ابن كثير .

[4] الكشف والبيان 189/6، ونقله البغوي في تفسيره.

[5] رواه ابن جرير في تفسيره 429/19.

الطريق الأولى: من رواية عطية العوفي عنه، ولفظه: " فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ " يَعْنِي نَفْسَهُ، قَالَ:"كَانَ نُورُ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي الشَّجَرَةِ وَمِنْ حَوْلِهَا"، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم [1].

وعطية العوفي وأبناؤه الرواة عنه ضعفاء، وهذه نسخة في التفسير يرويها عطية عن ابن عباس وهي نسخة ضعيفة.[2].

الطريق الثانية عن ابن عباس: يرويها مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ ويحيى بن آدم، ثنا شَرِيكٌ، عَنْ عَطَاء بن السائب، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: " فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ " ، قَالَ:"اللَّهُ فِي النُّورِ، وَنُودِيَ مِنَ النُّورِ" رواه ابن جرير وابن أبي حاتم[3]".

فهذا الإسناد قواه الذهبي في "العلو"[4]، وقال: إنه صالح[5].

وهذا التفسير هو قول أبي صخر، فقد أخرج ابن أبي حاتم عنه قال: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ، قَالَ: إِنَّ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَى شَاطِئِ الْوَادِي يَرْعَى غَنَمَهُ، فَلَمَّا رَأَتِ الْغَنَمُ النَّارَ نَفَرَتْ، فَقَامَ مُوسَى فَصَاحَ بِهَا، فَاجْتَمَعَتْ، ثُمَّ نَفَرَتِ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ قَامَ فَصَاحَ بِهَا فَاجْتَمَعَتْ، ثُمَّ نَفَرَتِ، الثَّالِثَةَ، فَلَمَّا قَامَ أَبْصَرَ النَّارَ فَسَارَ إِلَيْهَا فَلَمَّا

---

[1] رواه أحمد في السنة 582، وابن جرير ، 428/19، وابن أبي حاتم.

[2] ويخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيرا، من طريق محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي فيما كتب إلي، حدثني أبي، حدثني عمي الحسين، عن أبيه، عن جده عطية العوفي عن ابن عباس. أما ابن جرير فقد سمع من محمد هذا، وأما ابن أبي حاتم فقد روى عنه مكاتبة، ولابن جرير أسانيد أخرى عن عطية، هذا أشهرها. وعلى ضعف عطية فقد كان يدلس تدليسا خبيثا، قال الإمام أحمد: بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير، وكان يكنى بأبي سعيد فيقول: قال أبو سعيد.قال الذهبي: يعنى يوهم أنه الخدرى (ميزان الاعتدال 80/3).

[3] رواه ابن أبي حاتم، ورواه عبدالله بن أحمد بن حنبل في السنة (582)، ومن طريقه النجاد في الرد على خلق القرآن 68: من طريق يحيى بن آدم عن شريك، ولفظه: ان بورك من في النار قال الله ومن حولها قال الملائكة أهـ

[4] العلو للذهبي (87/1).

[5] وفي هذا نظر من جهتين: الأولى: ضعف رجاله، فإنَّ شريك بن عبدالله النخعي سيء الحفظ، وقد تفرد به فيما وقفت عليه. وشريك ولي القضاء سنة 150 بواسط، فاشتغل فاشتغل به، فقلَّ ضبطه وكثر غلطه، ولذلك كان قديم حديثه خيرا من حديثه، فمن سمع منه قبل المائة وخمسين فهو أمثل. قال ابن حبان (الثقات 444/6): ولى القضاء بواسط سنة خمسين ومائة ثم ولى الكوفة بعد ذلك ومات بالكوفة سنة سبع أو ثمان وسبعين ومائة وكان في آخر أمره يخطىء فيما يروى تغير عليه حفظه فسماع المتقدمين عنه الذين سمعوا منه بواسط ليس فيه تخليط مثل يزيد بن هارون وإسحاق الأزرق وسماع المتأخرين عنه بالكوفة فيه أوهام كثيرة أهـ. قال الفلاس: كان يحيى لا يحدث عن شريك وكان عبد الرحمن بن مهدى يحدث عنه. وروى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (367/4) أنه قيل: ليحيى بن سعيد: يقولون إنما خلط شريك بآخرة، فقال ما زال مخلطا. وقال: سألت أبي عن شريك وأبي الأحوص أيهما أحب إليك قال شريك أحب الى شريك صدوق، وهو أحب الى من أبي الأحوص وقد كان له أغاليط. وسألت أبا زرعة عن شريك يحتج بحديثه؟ قال: كان كثير الحديث صاحب وهم يغلط أحيانا، فقال له فضل الصائغ: إن شريكا حدث بواسط بأحاديث بواطيل، فقال أبو زرعة: لا تقل بواطيل أهـ. وهذا الحديث لم أره عند مخرجيه من طريق أهل واسط، إنما رواه عنه الكوفيون، أمثال معاوية بن هشام الكوفي.

وشيخ شريك فيه: هو عطاء بن السائب، وهو مختلط، بل هو من أشهرهم، ورواية شريك عنه بعد الاختلاط.

فقد قال ابن حجر رحمه الله: في التهذيب: فيحصل لنا من مجموع كلامهم أن سفيان الثوري وشعبة وزهيرا وزائدة وحماد بن زيد وأيوب عنه صحيح ومن عداهم يتوقف فيه الا حماد بن سلمة فاختلف قولهم والظاهر أنه سمع منه مرتين مرة مع أيوب كما يومي إليه كلام الدارقطني ومرة بعد ذلك لما دخل إليهم البصرة وسمع منه مع جرير وذويه والله أعلم أهـ.

والثانية: المخالفة. فقد خولف فيه معاوية بن هشام، فرواه الحماني عن شريك بإسناده فجعله من قول سعيد مقطوعا عليه، أخرجه ابن ابي حاتم، وهكذا أخرجه ابن جرير من طريق ورقاء عن عطاء بن السائب عنه قوله رواه ابن جرير (428/19)، وابن ابي حاتم ولفظه: "نَادَاهُ وَهُوَ فِي النُّورِ" أهـ.ومعاوية بن هشام فيه ضعف، قال الذهبي في الكاشف: ثقة ، و كان بصيرا بعلم شريك ، قال ابن معين : صالح ، و ليس بذاك ، وقال ابن حجر في التقريب: صدوق له أو هام. والذي خالفه هو يحيى بن عبدالحميد بن عبدالرحمن الحماني، كوفي حافظ، لكن اتهم بسرقة الحديث..والله أعلم.

أَتَاهَا ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ، قَالَ:"إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نَارًا وَلَكِنَّهُ كَانَ نُورَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ الَّذِي كَانَ فِي ذَلِكَ النُّورِ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ النُّورُ مِنْهُ وَمُوسَى حَوْلَهُ".

وقال به عكرمة، ولفظه: ﴿أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، قَالَ: "كَانَ اللَّهُ فِي نُورِهِ".

وهو قول الزجَّاج فإنه قال: جاء في التفسير أن من في النار هاهنا نور الله عز وجل ومن حولها الملائكة وقيل نور الله[1].

وقد استنكر بعضهم هذا القول، لأنَّه فهم منه معنى فاسداً في زعمه، وهو أنَّ الله عز وجل يحل في الأشياء، تعالى الله عن ذلك، لأنَّ "في" تفيد الظرفية، قال السيوطي: "في" حرف جر له معان، أشهرها الظرفية مكانا أو زمانا أهـ[2].

وقال المبرد: "في" معناها ما استوعاه الوعاء، نحو قولك: الناس في مكان كذا وفلان في الدار[3].

فظنوا على هذا أنَّ هذا التفسير يفيد حلول الله عز وجل في النار، وأن النار صارت ظرفا له، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فردوا هذا القول، وسلكوا في رده مسالك:

الأول: إهماله وعدم الاعتبار به، فلا يذكرونه في تفاسيرهم.

الثاني: إنكاره، قال الرازي: والمعنى تبارك من في النور، وذلك هو الله سبحانه ومن حولها يعني الملائكة وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وإن كنا نقطع بأن هذه الرواية موضوعة مختلقة[4].

الثالث: تأويله، وسيأتي طرف من أقوال المؤلين.

ولذا قال الثعلبي: وتأويل هذا القول أنّه كان فيها لا على معنى تمكُّن الأجسام، لكن على معنى أنّه نادى موسى منها، وأسمعه كلامه من جهتها وأظهر له ربوبيته من ناحيتها، وهو كما روي أنّه مكتوب في التوراة : جاء الله عزّ وجلّ من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران ، فمجيئه عزَّ وجلّ من سيناء بعثته موسى منها ، ومن ساعير بعثته المسيح بها ، واستعلانه من جبال فاران بعثه المصطفى صلى الله عليه وسلم وفاران مكة ، وقالوا : كانت النار نوره عزَّ وجلّ ، وإنّما ذكره بلفظ النّار لأنّ موسى حسبه ناراً ، والعرب تضع أحدهما موضع الآخر أهـ[5].

هذا وقد رد هذا القول الشنقيطي وقال: وهذا القول بعيد من ظاهر القرآن، ولا ينبغي أن يطلق على الله أنه في النار التي في الشجرة، سواء قلنا: إنها نار أو نور، سبحانه جل وعلا عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله!

ثم ذكر بعض التأويلات فردها، وختم بقوله: إنه أصاب في تنزيهه لله عن تلك العبارات، ولم يصب فيما ذكر من التأويل اهـ.

---

[1] معاني القرآن 109/4.

[2] الاتقان في علوم القرآن 166/1.

والظرفية هي حلول الشيء غيره، حقيقة نحو الماء في الكوز، أو مجازا نحو النجاة في الصدق (التعريفات للجرجاني 186).

[3] المقتضب 45/1.

[4] مفاتيح الغيب 544/24.

[5] الكشف والبيان 189/6، ونقله البغوي في تفسيره.

قلت: تنزيه الله عز وجل لا يكون بالتأويل للآيات من غير بينات، فإنه ما اضطر للتأويل إلا لأنه فهم منه معانٍ فاسدة، تقتضيها حالة التشبيه بالمحسوس، فقاس على المخلوقين فأوَّل، والحق أن هذا القول المروي عن بعض السلف لا يفهم منه ولا يفيد أن الله عز وجل حلَّ في النار، وذلك لأمرين:

الأول: أن النار هي نوره سبحانه وتعالى، وقالوا: إنما سماها نارا لأنَّ موسى ظنها نارا، فلم يكن سبحانه قد حلَّ في النار، تعالى الله عن ذلك، إنما كان ذلك نوره، ويدل على هذا المعنى حديث:

عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، حجابه النور، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره» ثم قرأ أبو عبيدة ﴿أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. هكذا رواه المسعودي عن عمرو بن مرة[1].

وفي لفظ له: «حجابه النار»[2].

لكن رواه غير المسعودي من الثقات كالأعمش فلم يذكر قراءة أبي عبيدة للآية، وهو من هذا الوجه مخرج في صحيح مسلم[3].

وقوله: سبحات وجهه أي نور وجهه[4].

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ : يُقَالُ السُّبْحَةُ : إِنَّهَا جَلالُ وَجْهِهِ وَنُورُهُ ، وَمِنْهُ قِيلَ : سُبْحَانَ اللهِ إِنَّمَا هُوَ تَعْظِيمٌ لَهُ وَتَنْزِيهٌ [5].

الثاني: أن لهذا شبيه في القرآن والسنة، مثل تجليه سبحانه وتعالى للجبل، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله إلى السماء الدنيا، وهذه الآية من هذا القبيل[6].

ولذا قال ابن تيمية: من ظنَّ أن ما يوصف به الرب عز وجل لا يكون إلا مثل ما توصف به أبدان بني آدم، فغلطه أعظم من غلط من ظن أن ما توصف به الروح مثل ما توصف به الأبدان، وأصل هذا : أن قربه سبحانه ودنوه من بعض مخلوقاته لا يستلزم أن تخلو ذاته من فوق العرش، بل هو فوق العرش، ويقرب من خلقه كيف شاء، كما قال ذلك من قاله من السلف، وهذا كقربه إلى موسى لما كلمه من الشجرة، قال تعالى : ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم

---

[1] رواه ابن ماجة في السنن (196).

[2] مسند الطيالسي 493، الكشف والبيان 190/7.

[3] صحيح مسلم (463).

وقد رواه عمرو بن عبدالغفار عن الأعمش فذكر فيه قراءة الآية، رواه الطبراني في الأوسط (6025) ولكن عمرا متروك الحديث كما في الجرح والتعديل 246/6.

وقد تابع الأعمش العلاء بن المسيب رواه ابن حبان (266).

[4] كما في تفسير الطبري 329/17.

[5] الأسماء والصفات للبيهقي (672).

[6] انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية 131/1.

بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.. ثم ذكر الآثار التي أخرجها ابن أبي حاتم، وقد مر ذكرها[1].

فحاصل هذا القول أنَّ الله عز وجل قرب من موسى وكلمه من هذه البقعة، فرأى موسى نور الله، وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم: "نورٌ أنى اراه"[2].

وفي الآية معنى آخر لا يتضاد مع ما سبق: وهو أن (في) بمعنى (على) أي: بورك الذي على النار، وهو يفيد إثبات العلو لله عز وجل، وتكون هذه الآية كقوله تعالى ﴿يدُ اللهِ فَوقَ أيْدِيهِمْ﴾.

وهذا المعنى تحتمله لغة العرب، ولا يتناقض مع كونه سبحانه عنى ذاته، لأنه سبحانه عال على خلقه في كل حال، وسبيل هذا القرب سبيل النزول كل ليلة.

و(في) ترد كثيرا في اللغة ويراد بها (على) وهذا كثير في القرآن.

فقد ترجم ابن قتيبة رحمه الله : باب دخول بعض حروف الصفات مكان بعض، في مكان على، قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي على جذوع النخل أهـ[3].

قال المبرد: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي: على، وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي يستمعون عليه ، وقال الشاعر:

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا[4]

وقال المحاسبي في فهم القرآن [5]: قوله أأمنتم من في السماء يعني فوق العرش، والعرش على السماء، لأنَّ من قد كان فوق فوق كل شيء على السماء في السماء، وقد قال مثل ذلك في قوله تعالى ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة/1]يعني على الأرض، لا يريد الدخول في جوفها، وكذلك قوله يتيهون في الأرض يعني على الأرض، لا يريد الدخول في جوفها..اهـ.

فيكون المعنى: بورك من على النار ، وهو سبحانه وتعالى، فهذا الوجه يؤيد كذلك قول من قال إن المراد هو الله عز وجل، ويكون قرب الله عز وجل ومناجاة موسى عليه السلام لا يتنافى مع علوه على عرشه واستوائه عليه.

لكن هذا لا يتجه إلا على القول بأنها نار وليست نورا، مع أن الراجح أن موسى رأى نورا فظنه نارا.

---

[1] شرح حديث النزول 99-101.

[2] رواه مسلم في الصحيح 291.

[3] تاويل مشكل القرآن ص567.

وكذلك ترد على بمعني في ، انظر تفسير الطبري (317/11) (219/19) في تفسير (ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان)(إذ وقفوا على النار)(ليس على الأعمى حرج).

[4] المقتضب 319/2.

[5] ونقله في الحموية الكبرى ص68

2-القول الثاني: "بوركت النار".

وعلى هذا القول فإنَّ من هنا تكون زائدة[1]، وهو مروي عن مجاهد، ونسبه لابن عباس[2]، قال: نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ: بوركت النار.

ومثله قول قتادة: نور الله بورك، أخرجه عبدالرزاق[3].

وهو قول محمد بن كعب، رواه عنه موسى بن عبيدة[4]، قال: النار نور الله جل وعز ومن حولها موسى والملائكة صلى الله عليه و سلم[5]. وهو المعنى الذي ذكره الفراء مستدلا بقراءة أبي[6].

قال الشنقيطي: أي: بوركت النار؛ لأنها نور. وبعده عن ظاهر القرآن واضح كما ترى أهـ

قلت: ما استبعده الشنقيطي ليس ببعيد، ويدل عليه قراءة أبي بن كعب.

ففي مصحف أبي (بوركت النار ومن حولها) هكذا قال قتادة، فيما رواه عنه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، وقال بعدها: أما النار فيزعمون انها نور رب العالمين ومن حولها الملائكة أهـ

وهذا الاسناد إذا نظر فيه المحدث جزم بانقطاعه، إلا أنَّ قتادة كان يتتبع مصاحف الصحابة وينظر فيها، ويستخرج منها التفسير، وروايته عن المصحف لا عن صاحبه، فهي وجادة مقبولة.

على أنه قد جاء من طريق آخر متصل عند الثعلبي، وهو قوله في سياق الاحتجاج لهذا القول: وقال بعضهم : هذه البركة راجعة إلى النار نفسها .. ودليل هذا التأويل ما أخبرنا – فساق الحديث – ... هُشيم قال: أخبرنا سفيان بن حسين، عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : سمعت أُبيّاً يقرؤها : أن بوركت النار ومن حولها .

وتقدير هذا التفسير أنَّ "من" تأتي في الكلام بمعنى "ما"، كقوله سبحانه ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾[الحجر:20] وقوله ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ الآية [النور:45] و "ما" قد تكون صلة في كثير من المواضع كقوله ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ﴾[ص:11] و ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾[المؤمنون:40] فمعنى الآية: بورك في النار وفيمن حولها وهم الملائكة وموسى عليه السلام، فسمّى النار مباركة كما سمّى البقعة مباركة فقال: في البقعة المباركة.[7]

---

[1] كما قال الماوردي في النكت والعيون 195/4، وابن الجوزي في زاد المسير 57/6.

[2] رواه ابن جرير 428/19، وابن أبي حاتم ، وإسناده صحيح لا غبار عليه.

[3] تفسير عبدالرزاق 79/3، وإسناده صحيح.

[4] هو موسى بن عبيدة الربذي ضعيف الحديث، من رجال التهذيب.

[5] معاني القرآن للنحاس 116/5.

[6] معاني القرآن للفراء (251/3)

[7] الكشف والبيان للثعلبي 190/6، ومثله في تفسير القرطبي 158/13.

وقد أنكر النحاس هذه القراءات، وقال: وحكى أبو حاتم أن في قراءة أبي وابن عباس ومجاهد (أن بوركت النار ومن حولها) ومثل هذا لا يوجد بإسناد صحيح، ولو صح لكان على التفسير[1]، نقله القرطبي ثم قال: فتكون البركة راجعة إلى النار ومن حولها الملائكة وموسى أهـ.

قلت: وقول النحاس مردود فقد صح إسناد القراءة، ومن علم حجة على من لا يعلم، وهذا القول المروي عن السلف في مؤداه لا يختلف عن القول الأول، فإنهم فسروا النار بالنور، وهو نور وجهه، والله عز وجل عبر عن ذاته بوجهه الكريم في قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن:27]، فإذا كان هذا نور وجهه فهو نوره، ومعنى بورك نوره أي بورك هو، فمن أنعم النظر في هذين القولين وجد أن الخلاف بينهما إنما هو خلاف تنوع لا خلاف تضاد، ولذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما القولان جميعًا.

3-القول الثالث: من في النار هم الملائكة.

وهو قول السدي، رواه ابن أبي حاتم عنه.

قال البغوي: و"من في النار" هم الملائكة، وذلك أن النور الذي رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتقديس والتسبيح، "من حولها" هو موسى لأنه كان بالقرب منها، ولم يكن فيها. وقيل: "من في النار ومن حولها" جميعًا الملائكة. وقيل: "من في النار" موسى و"من حولها" الملائكة، وموسى وإن لم يكن في النار كان قريبًا منها، كما يقال: بلغ فلان المنزل، إذا قرب منه، وإن لم يبلغه بعد.

وهو الأقرب للصواب عند الشنقيطي، فإنه قال: وأقرب الأقوال في معنى الآية إلى ظاهر القرآن العظيم، قول من قال: إن في النار التي هي نور ملائكة وحولها ملائكة وموسى. وأن معنى ﴿بُورِكَ مَن فِي النَّارِ﴾ ، أي: الملائكة الذين هم في ذلك النور ومن حولها. أي وبورك الملائكة الذين هم حولها، وبورك موسى لأنه حولها معهم .

وساوى في الجلالين بين أن تكون من الأولى لموسى والثانية للملائكة وبين العكس[2].

4-القول الرابع: بورك في مَن طلب النار وهو موسى.

قال الواحدي: من في طلب النار وقصدها والمعنى: بورك فيك يا موسى أهـ وهو قول السمرقندي[3].

قال الثعلبي: وقال آخرون : هذا التبريك عائد إلى موسى والملائكة ، ومجاز الآية : بورك من في طلب النار وقصدها بالقرب منها ، وهذا كما يقال : بلغ فلان البلد إذا قرب منه ، وورد فلان الماء لا يريدون أنّه في وسطه ، ويقال : أعطِ مَن في الدار ، يريدون من هو فيها مقيم أو شريك وإن لم يكن في الوقت في الدار ، ونحوها كثير .

ومعنى الآية : بورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين حول النار ، وهذا تحيّة من الله سبحانه لموسى وتكرمة له كما حيّا إبراهيم على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا : ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[هود:73][1] .

---

[1] اعراب القرآن للنحاس 199/3.

[2] وقال في حاشية الصاوي على الجلالين 187/3 على قوله (من في النار) أي موسى (ومن حولها) أي الملائكة أو العكس: (قوله من في النار) هو نائب فاعل بورك، وهذه تحية لموسى وتكرمة له، قوله : أو العكس، أي فتفسر من الأولى بالملائكة والثانية بموسى، وعلى هذا التفسير فلا يحتاج لتقدير مضاف... لأن موسى إذ ذاك لم يكن في النار حقيقة بل كان في المكان القريب منها أهـ.

[3] في بحر العلوم (573/2)

واختاره الطاهر بن عاشور، فإنه قال: و ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ مراد به موسى فإنه لما حل في موضع النور صار محيطا به فتلك الإحاطة تشبه إحاطة الظرف بالمظرف، فعبر عنه بـ ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ وهو نفسه. والعدول عن ذكره بضمير الخطاب كما هو مقتضى الظاهر، أو باسمه العلم إن أريد العدول عن مقتضى الظاهر، لأن في معنى صلة الموصول إيناساً له وتلطفا كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي "قم أبا تراب" وكثير التلطف بذكر بعض ما التبس به المتلطف به من أحواله. وهذا الكلام خبر هو بشارة لموسى عليه السلام ببركة النبوة.

ومن حول النار: هو جبريل .. فهذا التبريك تبريك ذوات لا تبريك مكان بدليل ذكر ﴿مَنْ﴾ الموصولة في الموضعين، وهو تبريك الاصطفاء الإلهي بالكرامة[2].

5-القول الخامس: بورك النور الذي في النار.ذكره الماوردي ونسبه لابن عيسى[3].

6-القول السادس: مكان النار ومن حولها، أي البقعة المكانية.

قال الزمخشري: ومعنى "بورك من في النار ومن حولها" بورك من في مكان النار، ومن حول مكانها، ومكانها: البقعة التي حصلت فيها، وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى : ﴿نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ [القصص/30] وتدل عليه قراءة أبي: (تباركت الأرض ومن حولها)، وعنه : (بوركت النار) والذي بوركت له البقعة ، وبورك من فيها وحواليها حدوث أمر ديني فيها: وهو تكليم الله موسى، واستنباؤه له، وإظهار المعجزات عليه، ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في أقاصيها، ويبث آثار يمنه في أباعدها، فكيف بمثل ذلك الأمر العظيم الذي جرى في تلك البقعة.

وقيل: المراد بالمبارك فيهم: موسى والملائكة الحاضرون، والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الأرض وفي تلك الوادي وحواليهما من أرض الشام، ولقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة في قوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء/71] وحقت أن تكون كذلك ، فهي مبعث الأنبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي إليهم وكفاتهم أحياء وأمواتا .أهـ[4]. وربما عبر بعضهم بالبقعة، كما قال البقاعي: من في النار أي بقعتها أهـ[5] . وافقهم على هذا التأويل ابن جزي ، والبيضاوي[6]، وأبو السعود[7]، دليل هؤلاء: قوله تعالى : ﴿نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ [القصص/30].

فحملوا هذه على تلك، ولا يلزم ذلك، فإن التعبير القرآني بـ"من" يأبى ذلك، وكون البقعة مباركة لا يلزم منه أن تكون هي المرادة في الآية الأخرى، فالبقعة مباركة، ومن في النار مبارك كذلك.

7-القول السابع: التأويل بالقدرة والسلطان.

---

[1] الكشف والبيان 190/6.

[2] التحرير والتنوير 226/19.

[3] النكت والعيون 195/4.

[4] الكشاف 355/3.

[5] نظم الدرر 410/5.

[6] أنوار التنزيل وأسرار التأويل (171/2).

[7] إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (374/6).

ذكره الثعلبي بصيغة التمريض، فقال: وقيل معناه : بورك مَن في النار سلطانه وقدرته وفيمن حولها أهـ[1].فهذا التأويل يكون على حذف المضاف، أي من قدرته وسلطانه في النار [2].

قال أبو حيان: و ﴿مَنْ﴾: المشهور أنها لمن يعلم ، فقال ابن عباس ، وابن جبير ، والحسن وغيرهم : أراد تعالى بمن في النار ذاته ، وعبر بعضهم بعبارات شنيعة مردودة بالنسبة إلى الله تعالى، وإذا ثبت ذلك عن ابن عباس ومن ذُكر أوّلَ على حذفٍ، أي بورك مَن قدرته وسلطانه في النار أهـ.

قلت: وبعده ظاهر، ولذلك رده الشنقيطي فقال: أنه أصاب في تنزيهه لله عن تلك العبارات، ولم يصب فيما ذكر من التأويل.

8-القول الثامن: بوركت الشجرة التي تتقد فيها النار.

نقله الماوردي ، وقال: الشجرة لأنَّ النار اشتعلت فيها وهي خضراء لا تحترق أهـ[3].

قال الشنقيطي: وبعده عن ظاهر القرآن أيضاً واضح كما ترى. وإطلاق لفظة ﴿مَن﴾ على الشجرة وعلى ما في النار من أمر الله غير مستقيم في لغة العرب التي نزل بها القرآن العظيم .

9-القول التاسع: بورك مَن ناداه مِن النار

وهو تأويل ابن الجوزي لقول من قال من السلف بالقول الأول، فإنه قال: المعنى قدس من في النار وهو الله عز وجل قاله ابن عباس والحسن والمعنى قدس من ناداه من النار لا أن الله عز وجل يحل في شيء أهـ [4].

10- القول العاشر: بورك نور الله.

وهو قول الشوكاني، فإنه قال: وحكي عن الحسن وسعيد بن جبير أن المراد بمن في النار هو الله سبحانه: أي نوره وقيل بورك ما في النار من أمر الله سبحانه الذي جعلها على تلك الصفة[5].

11- القول الحادي عشر: بورك من في جوار النار، وبورك من حولها. وهو قول العكبري[6].

12-القول الثاني عشر: بورك غير العقلاء، فالمراد بمن غير العقلاء وهو النور والأمكنة التي حولها. ذكره السمين مصدرا بقيل[7].

هذا، ويمكن أن نلخص هذه الأقوال في ثلاثة:

---

[1] الكشف والبيان 190/6.

[2] ذكره السمين الحلبي في الدر المصون 241/11، وابن عادل في اللباب 113/15.

[3] النكت والعيون 195/4.

[4] زاد المسير 155/6

[5] فتح القدير 181/4.

[6] التبيان 1004/2.

[7] الدر المصون 241/11.

الأول: أن مَن في النار هو سبحانه، ولم تكن نارا بل كانت نورا، وهذا النور نور وجهه، وهو بعض حجبه، وقد قدمنا معنى ذلك وليس أنه حلَّ في النار، ولا يمكن تصور مثل هذا المعنى الفاسد، ويكون قربه من موسى عليه السلام في هذه الآية كتجليه للجبل، وهذا قول السلف من المفسرين.

الثاني: الملائكة هي التي كانت في النور لها زحل بالتسبيح، وهو قول السُّدِّي من السلف تفرد به.

الثالث: مسالك أهل التأويل، فمنهم من قال: بورك مكان النار وبقعتها، والشجرة، وبورك من في النار سلطانه، إلى آخر تلك الأقوال المذكورة آنفا مع أصحابها.

وهذه الأقوال مردودة بقانون التفسير بالمأثور، فإن تفاسير الصحابة والتابعين على خلافها، والقاعدة أن التفسير إذا جاء عن الصحابة والتابعين لم تجز مخالفته، ولا الخروج عنه، ولذا كان الصحيح القول الأول.

وأما الأقوال الواردة في قوله تعالى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ فتتلخص في ثلاثة:

أحدها: الملائكة، قاله ابن عباس والحسن، والثاني: موسى والملائكة، قاله محمد بن كعب، والثالث: موسى أهـ[1].

والأقرب أنه موسى عليه السلام، ليكون تحية من الله عز وجل له، وتأنيسا وتكريما، والله أعلم.

خاتمة:

اشتمل هذا البحث على تفسير تحليلي لجزء من آية من سورة النمل وهي قوله تعالى ﴿أن بورك من في النار ومن حولها﴾، ويمكن أن ألخص أهم النتائج فيما يلي:

-البركة هي النماء والزيادة، ولا تكون إلاَّ من الله.

-مجموع ما ذكر بالبركة في القرآن الكريم هو أربعة عشر أمرا.

-رأى موسى عليه السلام نارا بعينه وكانت هذه النار نورا في الحقيقة.

-للسلف من المفسرين قولان مؤتلفان في معنى (من في النار) يجمعهما أن الله عز وجل عنى بذلك نفسه، فإن النار نور الله عز وجل، وربما قال بعضهم: نور وجهه، وهو من باب التعبير بالوجه عن الذات.

-تفرد السدي من بين السلف فقال: إن الذي في النار هم الملائكة، ورُدَّ بأنَّ جمهور السلف على خلافه.

-سلك المتأخرون من المفسرين مسلك التأويل لقول السلف ولذا كثر اختلافهم فيها، وكلهم أراد تنزيه الباري سبحانه وتعالى، وكانت بعض تأويلاتهم أقرب من بعض.

-الأرجح أنَّ المراد بمن حول النار هو موسى عليه السلام.

تم والحمد لله رب العالمين.

[1] لخص هذه الأقوال ابن الجوزي في زاد المسير 58/6.

أهم المراجع:

1. ابن أبي حاتم: عبدالرحمن بن محمد الرازي (327)، الجرح والتعديل، مجلس دائرة المعارف بالهند.
2. ابن أبي حاتم: عبدالرحمن بن محمد الرازي (327)، تفسير القرآن العظيم، دار الباز، 1419.
3. ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج البغدادي (597)، زاد المسير في علم التفسير، دار الكتاب العربي-بيروت.
4. ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (392)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1420هـ.
5. ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (774هـ)، دار هجر، مصر القاهرة.
6. أبو حيان: محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية/ بيروت 2000-2001.
7. الآلوسي: شهاب الدين محمود بن عبدالله (1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عطية، دار الكتب العلمية، 1415هـ.
8. الطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير الآملي (224 - 310 هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن،المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.
9. العربي: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي (543هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1424 هـ .
10. الفراء: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (207هـ)، معاني القرآن، المحقق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
11. القرطبي: محمد بن أحمد القرطبي (671هـ)، الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي، المحقق: البردوني، واطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ.
12. المحاربي: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام ابن عطية الأندلسي (542هـ)، المحرر الوجيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت،1422 هـ
13. النحاس: أحمد بن محمد النحوي، إعراب القرآن، المحقق: عبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت 1421هـ.
14. النحاس: أحمد بن محمد النحوي، معاني القرآن، المحقق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى مكة المكرمة، 1409هـ.